

بعض الآراء حول مداخلة المؤرخة الجزائرية ملكة رحال بعنوان "حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بمدينة وهران". *

يتضح لنا من خلال هذه المحاضرة القيمة تحكما كبيرا في الموضوع من طرف الباحثة التي وبدون شك تعمق أطروحتها الجامعية حول تاريخ حزب إ.د.ب.ج بدراسة مزدوجة المصدر، ميدانية و مبنية على التوثيق خاصة المخبراتي و الصحفي، مع إندثار الأدبيات الحزبية. ويمكن أن توسع هذه الدراسة إلى كل المنطقة الغربية حتى تكتمل النتائج و الإستنتاجات مستقبلا.(1)

إن المقارنة بالمقارنة بين مدينتي وهران و قسنطينة تساعد كثيرا على إدراك خصوصيات هذا الحزب المحلية و المنفردة عن باقي المدن الأخرى، لتمييزها بالطابع الشعبي للقاعدة، و الإندفاع البدني للمناضلين في مختلف التظاهرات الشعبية و النقابية خلافا لما يروج عادة، ولكن دون مبالغة.(2)

إن المحاضرة تعيد النظر في الكثير من الأفكار المسبقة حول هذه الحركة الموصوفة عادة بالبورجوازية والنخبوية العلمانية و الفرنكوفونية بأمثلة حية تدل على صلتها بحركة جمعية العلماء المسلمين و المساهمة في تشييد بعض المدارس مثل نادي السعادة. كما توضح صلتها بفئة الشباب عن طريق تنظيم خاص بهم و بعض النسوان رغم قلة عددهن بمشاركة طالبات الثانويات.(3)

تناولت المؤرخة تجربة العمل الوحدوي مع باقي الأحزاب مثل حركة إنتصار الحريات الديمقراطية والحزب الشيوعي في إطار "ج.ج.د.إ.ح.د."، لكن دون أن تشير إلى حركة إنتقال المناضلين من حزب إلى آخر مثل محمد بن أحمد الذي إنتقل في سنة 1952 إلى حزب سويح الهواري و الروابط العائلية و العصبية القبلية بين مناضلي مختلف الأحزاب و الجمعيات التي تفسر التقارب رغم الإختلاف الطبقي. كما أدى هذا الأمر إلى التحالف الإنتخابي خاصة في المجلس البلدي سنة 1953 خلافا للعاصمة التي عاشت التناحر و الإنفراد الحزبي. ويرى بعض أعضاء م.خ أن حزب البيان إرتاح لأزمة حزب مصالي الحاج.(4)

ورد تدخل الأستاذ عبيد أحمد في تفسير هذه الخصوصية لمدينة وهران التي تعود للغليان الإجتماعي من خلال الحركة النقابية و العمالية النشطة، بل و كل القطاع الوهراني عموما، كإرضية إجتماعية - سياسية. و ملاحظته فيما يتعلق بمطلب الإستقلال الوطني في البرنامج السياسي في محلها بالنسبة لكل الأحزاب المعتمدة رسميا التي كانت محكومة بسياسة دستور "الوحدة الفرنسية" كإطار للعمل السياسي و الإنتخابي العلني. إلا أن هذا المطلب الجوهرى لكل فصائل الحركة الوطنية أخذ يتصدر البرامج السياسية رغم إختلاف النظر في الوسائل لبلوغه (كفاح مسلح، نضال سياسي سلمي...).(5)

كذلك ملاحظة الأستاذ دلالي أمين كانت موفقة لما إسترشد بمثال البحوث و الإهتمام بالشعر الملحون و التراث الشعبي لبعض المثقفين المنتمين لحزب البيان مثل أحمد الطاهر و عزة عبد القادر و غيرهما ليبين تجذر هذا الحزب في الثقافة الوطنية و الذاكرة الجماعية و المخيال الشعبي.(6)

ولعل إندماج هذا الحزب في الكفاح المسلح، الموصوف بالمتعقل، بعد إنسداد كل الأبواب السلمية أمام تعنت الإستعمار الفرنسي خير دليل على وطنيته، رغم محدوديته و نسبية جذرية مواقفه السياسية. إذ أعطى العديد من الإطارات لجيش و جبهة التحرير الوطني و تولى قائده رئاسة أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية في إطار تحالف وطني واسع بين قواه الوطنية و الإجتماعية.(7)

والمفارقة التاريخية هي أنه من كان يوصف بالإصلاحى اللين، أي فرحات عباس، سبق من كان يوصف بالثوري الجذري، أي مصالي الحاج، في الإنضمام إلى صفوف الثورة و كان دوره متميزا رغم تناقضاته.(8) إن كتابة التاريخ السياسي لتنظيم مثل حزب البيان أو آخر لا يقتصر على دراسة المواقف الواردة في بياناته بل يركز على رصد و تحليل نشاط قاعدته التي غالبا ما تكون سباقة في اتخاذ المواقف الصحيح في الظرف الحاسم مثل ما حصل في المنطقة الوهرانية لهذا الحزب مع إندلاع شرارة فاتح نوفمبر 1954.(9)

لشلاش بومدين

وهران 10 جوان 2012

باحث فى التاريخ

هوامش و مراجع.

- * هي باحثة في معهد تاريخ الزمن الحاضر في باريس، و صاحبة كتاب حول الشهيد علي بومنجل، و الأطروحة الجامعية حول تاريخ حزب فرحات عباس إ.د.ب.ج. ولقد أقيمت المحاضرة في المركز الأمريكي للدراسات المغاربية في الجزائر بوهران يوم 4 جوان 2012 على الساعة العاشرة صباحا. والآن تبحث حول تاريخ حزب الطليعة الاشتراكية.
- 1- فعلا الوثائق الحزبية إندثرت للأسباب التي ذكرت مثل إخفاء الإنتماء الحزبي السابق لحرب الإستقلال الوطني التي أصبحت مؤسطرة نوعا ما و ظروف نظام الحزب الحاكم الواحد...
 - 2- استطاعت المؤرخة أن تعيد لذاكرتنا الجو السياسي السائد في بعض ملامحه في الفترة الممتدة ما بين 1946 و 1954 بفضل ما جمعتها من إستجواباتها الميدانية للأعضاء البارزين لهذه الحركة السياسية مثل معاشو عبد القادر و راشد عبد الله... في الأحياء الشعبية مثل الحمري و المدينة الجديدة و سيد الهواري .
 - 3- لعبت وهران دورا فعالا في التضامن مع ضحايا مجازر 8 ماي 1945 بما فيه التكفل (التبني) بالأطفال اليتامى، و أورد شاعرها الباسل الهواري حناتي المنادي للكفاح المسلح في 1930، قيل وفاته بقليل في 1946، قصيدة بمناسبة الذكرى الأولى للأحداث الدامية يصف فيها ما جرى و يبحث على النضال من أجل الحرية.
 - 3- إن هذا الحزب يمثل في حقيقة الأمر الفئات المتوسطة بما فيها الفلاحية و النخبة المثقفة(أنظر بن علي بوكروط، نفس الظهرة، م.و.ك، الجزائر 1986، ص. 117). هذا الأخير إنتقل من الحزب الشيوعي إلى حزب البيان في أول وهلة.
 - 4- لم يكن هناك حاجزا مانعا لتنتقل المناضلين من حزب إلى آخر حسب الظروف داخل الحركة الوطنية إضافة إلى الروابط الودية التي سهلت العمل الوحدوي. مثلا كان محروز بن عمر له ابن عمه في حزب البيان في عين تموشنت. و لعل مثال سبدو كان نموذجا للوحدة في العمل خاصة بين حزب البيان بقيادة قرموش محمد و الحزب الشيوعي بقيادة برحو مجدوب و ظاهر غمري (شهادة برحو). أما جمعية العلماء غير السياسية كانت مشتركة للجميع بفضل دور بوشامه عبد الرحمان سابقا.
 - 5- محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 1954، دار النعمان، الجزائر 2011، ص. 68.
 - 5- أنظر أطروحته الجامعية و تحليل محفوظ قداش حول بوادير نوفمبر 1954 الذي يتكلم في كتابه حول تاريخ الحركة الوطنية، الجزء الأول، عن " الحراك الإجتماعي في المنطقة الوهرانية ".
 - 6- البديل السياسي للإستقلال الوطني توفر مع إندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939، و لم يكن وهما كما قال أ. عبيد، بل شروط تحقيقه في شمال إفريقيا لم تكتمل نظرا لموازين القوى التي ترتبت عن نتائج مؤتمرات الحلفاء مع نهاية الحرب. و لكن فتحت نافذة للتاريخ لم يستحسن إستغلالها كما تم في مناطق أخرى من العالم. و كان إحتمال إستقلال بمضمون إجتماعي آخر أقل جذرية ممكنا لو تماسكت الجبهة الداخلية وموقف الإتحاد السوفياتي بسياسته الستالينية المدعومة لإستراتيجية الحزب الشيوعي الفرنسي الوهمية و الشمولية التي كانت تربط مستقبل الجزائر " بفرنسا شيوعية" بحجة إمكانية سقوطها تحت النفوذ الأمريكي.
 - 6- إن الوهم كان و ظل الإتكال على مساندة أمريكية عند العديد من الوطنيين و القوميين أثناء حرب التحرير و حتى الآن.
 - 6- أحمد طاهر أنجز كتابا يبحث عن النظام العروضي و الأوزان الخاصة بالشعر الملحون. أما عزة عبد القادر فقدم أطروحة عن الشاعر مصطفى بن ابراهيم. إضافة إلى بودالي سفير الذي لعب دورا في النهوض بالموسيقى الجزائرية بكل أنواعها... و الإلتحاق المتأخر للمؤرخ علي الحمامي المقيم في المشرق، والذي من المحتمل جدا أنه أعتيل برفقة ممثلي تونس و المغرب الأقصى في حادثه طانرة عند العودة من المؤتمر الإسلامي المنعقد في باكستان في ديسمبر 1949.
 - 7- هناك العديد من المراجع الجزائرية تناولت موضوع حرب الإستقلال الوطني (حربي محمد، تقية محمد، سليمان الشيخ...).
 - 7- أنظر قي برفي، الطلبة الجزائريين للجامعة الفرنسية 1880-1962، منشورات القصة، الجزائر 2004.
 - 8- عرفت الفترة الأخيرة إصدار مؤلفات كثيرة حول السيرة الذاتية للشخصيتين و مذكراتهما إضافة إلى إعادة طبع بعض الكتابات لفرحات عباس. كما أعيد لهما الإعتبار رسميا من طرف السلطة، لكن التاريخ لا يمكنه أن يكشف عن كل جوانب المرحلة الحاسمة إلا بتوفر الوثائق و المصادر الأولية و لا يخضع لأوامر السلطة السياسية و النزعة الذاتية.
 - 9- عبد الرحيم طالب بن دياب، كتابة التاريخ (دراسة نقدية من أجل كتابة تاريخنا الوطني) مطبوعة، الجزائر، ماي 1981.
 - 9- إن قواعد كل من حركة إنتصار الحريات الديمقراطية و الحزب الشيوعي الجزائري، و الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، و جمعية العلماء المسلمين كانت سباقة في إشعال الكفاح المسلح أو الإلتحاق به مبكرا قبل القيادات، و دفعها إلى دعم الموقف و التشجيع على تعميمه. هذا ما يتجلى من خلال الدراسة الميدانية للحدث بالمنطقة الوهرانية منذ ليلة أول نوفمبر 1954.
- ملاحظة حول عنوان المحاضرة.
- كان عنوانها كاملا " المقر، المدرسة، الشارع و الأجمة. سياسة إ.د.ب.ج بوهران " بما أن مضمون المحاضرة كان يدور حول ما يميز نشاط هذا الحزب بمدينة وهران، كان يمكن إضافة عبارة " الخصوصية المحلية " لهذا العنوان المركب (كعنوان فرعي) و فعلا كانت المحاضرة ثرية بالأمثلة الحية و الروايات الشفوية التي تنزع جفاف الوثائق الصماء رغم قلة الحاضرين.